نشأة وتطوّر الملصق الفلسطيني

يهدف الملصق، ايّما ملصق، ومن خلال الوظيفة الابداعية والسياسية الملقاة على عاتقه، الى الغاء صورة سابقة نمت وترعرعت في خيال المتلقّي على نحو خاطىء، أو ان يمكّن الملصق المتلقّي من تأكيد حقائق داخله، ما زالت بحاجة الى تأكيد. وهذا الاستهداف غير السطحي، والمركب، يمكّن الملصق من اداء دوره ضمن المهمة المرسومة له، على صعد عدّة منها:

- تنمية الوعي باتجاه استقراء موضوعات معيّنة، وصولاً الى تكوين حالة وعي شمولي.
- تأكيد افكار، أو الاقناع بها، بهدف بعث تغيير في معرفة الرائي. وهذا التغيير يتمّ عبر الغاء تصورات معرفية مسبقه، وتدعيم، واقناع بمعرفية جديدة.
- يمتلك الملصق مهمة كبيرة وجسيمة، وظيفية اساساً، وهي تطوير الثقافة البصرية لدى المشاهد، ونقلها من حالات الرؤية المألوفة، وادخالها حيّز التوليد الرؤيوي البصري، والتخيّلي، بغية السمو والرفعة في التخيل، وتوليد الافكار، وبالتالي استنباط معان وقيم جديدة، تكون حالة الارتباط بين الملصق والمشاهد من خلال هذه العملية.

وهذه التحديدات، بمضامينها، قد لا تروق لعدد من الفنانين، والعاملين في مجال الملصق الفلسطيني، لأننا اعتدنا طوال العشرين، أو الثلاثين، سنة الماضية، ان نسمع تعريفاتهم للملصق ووظيفته على انه ورقة تلصق على الجدار تقوم بنقل رسالة، أو حدث سياسي آني، ومهمتها تحريضية. وتحت هذا التعريف المفتوح مرّت بالساحة الفلسطينية، وعلى امتداد تاريخ حركة فن الملصق الفلسطيني، أي منذ حوالى الثلاثين عاماً الماضية، اكوام من الملصقات التي حملت كمّاً من افكار ومضامين وتجميعات فنية: صورة فوتوغرافية مع شعار سياسي أو بعض تخطيطات؛ زنود، وبندقية، وعلم، وحمامة، الخ، مع شعار سياسي؛ حتى وجد المتتبع للملصق الفلسطيني، عبر مراحل نموه، وتجذّره، حالة من عدم تحديد هيكلية البناء للملصق، اللهم ما عدا الملصق السياسي الذي حمّله الفنانون والعاملون في حقل انتاج الملصق الكثير من رموز، وايحاءات، ودلالات، وتجميعات كولاجية، ثمّ اضاف المقرّر السياسي عليها الشعار السياسي، الخطابي، المباشر. وبذلك وجدنا انفسنا تجاه سيل من الملصقات لم يعلق منها في الذاكرة، والوجدان، سوى القليل.

من هنا، يصبح تحديد مهمة الملصق الفلسطيني عموماً، والسياسي منه خصوصاً، ضرورة ملحّة، خاصة وان الوضع الفلسطيني العام، سياسياً وفنياً، يدخل مرحلة جديدة في ظل الانتفاضة الفلسطينية، واعلان استقلال الدولة الفلسطينية، على السواء. وعليه قمنا بالبحث في نشأة الملصق الفلسطيني، على اعتبار انه تطور طبيعي لـ «البيان» (manifest)؛ ثمّ مراحل تطور الملصق الفلسطيني، كجزء من حركة الفن التشكيلي الفلسطيني. وكذلك اعتمدنا تقسيم الملصق الفلسطيني الى انواع، وذلك تبعاً للموضوع؛ ثم ادرجنا ضمن انواع الملصق ملصقات الانتفاضة، أي الصادرة زمنياً خلال اعوام الانتفاضة المباركة، لأن الملصق الفلسطيني، في ظل الانتفاضة، يمر بمرحلة مستمرة، ومتميزة عن المراحل السابقة، الامر الذي جعلنا ندرجه في انواع الملصق، ولم ندرجه كمرحلة، لأن زمنيته ما زالت مستمرة، من جهة، ولأن هذه المرحلة تحمل في طياتها الكثير من المفاجآت، من جهة أخرى. كما حاولنا رصد وتحليل سمات الملصق الفلسطيني على امتداد عمره، من خلال استخدام الصورة الفوتوغرافية، والشعار السياسي، واللون، والفكرة (الموضوع)، في الملصق.

ومن خلال القراءة الموضوعية، والفنية، للصقات الثورة الفلسطينية امكن الوصول الى جملة من